يسكن قرية الوردية قرب جسر ديالى بمسافة خمسة كيلومترات عن منطقة الزعفرانية، ولا تبعد عن مفاعل تموز "لتويثة" أكثر من كيلو متر واحد... كان يتوق الدخول إلى مبنى المفاعل المحصن ليرى ما بداخله، وتحققت أمنيته بعد ٢٠٠٣/٤/٩. كان المبنى قد هجره الموظفون وبقي من دون حماية أمنية، فالقوات الأمريكية "المارينز" تركته بعد أن كانت تقف لأيام بالقرب منه ، والفرصة أصبحت كبيرة للحصول على غنائم ثمينة فيه، والكثيرون كانوا يريدون الانقضاض عليه وسرقته، ولم يحصدوا غير الأمراض السرطانية.

□ بغداد / إيناس طارق

عراقيون اقتسموا "الكيك الأصفر" بعد 2003!

عمليات النهب لمفاعل "التويثة" سبّبت أمراضاً سرطانية

أبو رشاد يسرد قصته مع المرض الذي أصيب به بعد استخدامه محتويات سرقها من مفاعل "التويثة"، كانت عبارة عن علب معدنية استخدمها للطبخ ، وبراميل استعملها لخزن ماء الشرب ليقضي على معاناته في انقطاعه المستمر بسبب تعرض أنابيب مياه الإسالة الى التخريب. التقينا به في مستشفى الطب الذري وهو يستعد لأخذ جرعة الكيمياوي، التي اعتاد عليها منذ ٩ سنوات، أصبحت حالته تسوء يوما بعد آخر. يقول أبو رشاد : ذهبت مع مجموعة من سكان القرية وقمنا بكسر الأبواب المحصنة الداخلية للمفاعل بإطلاق النار على الأقفال من أسلحة تركها الجيش العراقي السابق في المنطقة. مضيفا "بدأنا باكتشاف المجهول ، وجدنا براميل ذات لون رصاصي وثلاجات عملاقة ومجموعة من علب معدنية صفت في رفوف، ولا نعلم ما كتب عليها لأنها باللغة الانكليزية ... افرغناها من محتواها ورميناه على الأرض وجمعنا العلب المعدنية "الألمنيوم" الفارغة ، وكانت تحتوي على أنابيب تحليل زجاجية مملوءة بمواد نجهلها ، وفجأة أصبح المفاعل مكتظاً بالسكان القريبين الذين ما يستطيعون حمله من محتويات المبنى .

أبو رشاد لم يكن الوحيد الذي تعرض الى الإصابة بأمراض جلدية هاجمت جسده فجأة، فلم تمض سوى أيام قلائل على سرقة المفاعل من قبل سكان التويثة حتى بدأت أعراض أمراض جلدية تظهر على الرجال والنساء على حد سواء.

وزوجة أبو كريم – من سكنة المنطقة ذاتها – قد تعرضت أيضا لأمراض غريبة أنهت حياتها ، فقد أصيبت بنوبة قلبية مفاجأة أفقدتها الحياة في الحال. وقد اكتشفت قبل وفاتها بأيام بقعاً ذات لون قاتم تكبر في صدرها، وأخبرتها طبيبة المركز الصحي في الزعفرانية انها مصابة بسرطان الجلد!

ما زال التلوث مستمراً

وما زال التلوث مستمرا رغم مطالبة منظمات حكومية وهيئات منظمات دولية بضرورة معالجة الأجواء العراقية من التلوث الذي أصبح كابوساً يلاحق العراقيين أينما ذهبوا بسبب انتشاره في الماء والتربة والهواء، ويقدر تقرير للأمم المتحدة بان كلفة الإجراءات اللازمة لمعالجة التلوث وتقليل المخاطر الناجمة عن وجود النفايات الخطرة في العراق مقداره ٤٠ مليون دولار، و تشمل إقامة مرافق لمعالجة النفايات (٢٢ مليون دولار)، إدارة الصناعات النفطية للمواقع الملوثة التابعة لها (١٠ ملايين دولار).

أربعون موقعاً ملوثاً

وأكدت دراسة عراقية رسمية وجود أكثر من ٤٠ موقعاً في العراق ملوّثا بمستويات عالية من الإشعاع والسموم، مشيرة إلى أن ثلاثة عقود من الحرب والإهمال، خلفت دماراً بيئياً في أجزاء كبيرة من البلد. وحسب الدراسة الصادرة عن عدد من الوزارات العراقية المختصة، فإن مناطق داخل أو بالقرب من المدن والبلدات الكبيرة، بضمنها النجف، البصرة، والفلوجة، يوجد فيها نحو ٢٥ بالمائة من المواقع الملوثة، التي ظهرت فيها نسب متزايدة لإصابات السرطان، والعيوب الولادية خلال السنوات الخمس الماضية. والدراسة التي شاركت فيها وزارات البيئة، والصحة، والعلوم، وجدت أنّ ساحات معادن الخردة أو كما يسمى في العراق حديد السكراب في بغداد والبصرة وحولهما، تحتوي على مستويات عالية من الإشعاعات الخطرة، والتي يُعتقد أنها من مخلفات اليورانيوم المنضب الذي استعمل في الذخائر الحربية خلال حرب الخليج الأولى، ومنذ سنة ٢٠٠٣.

تطهير مناطق العراق

وأكد رئيس هيئة تطهير المناطق من الإشعاع النووي عدنان جرجيس في تصريح سابق: لقد أخبرت مفتشي الوكالة الدولية للطاقة النووية الذين زاروا المواقع، حتى لو توفرت لنا أحسن العلوم في العالم، لما استطعنا تطهير تلك المناطق قبل سنة ٢٠٢٠. من جانب آخر تؤكد بشرى علي أحمد، مديرة مركز الحماية من الإشعاع أن ٨٠ بالمائة فقط من الأراضي في العراق ممسوح حتى الآن. وأضافت: "نحن نركز حتى الآن على المواقع الملوثة بسبب الحروب. ولدينا خطط إضافية لمسح المناطق التي دمرتها الحرب". وأضافت: "المشكلة الكبيرة هي في انتقال المواد الملوثة بالإشعاع ، مثل انتقال دبابة محطمة وملوثة إلى منطقة أخرى، وعملية تطهير مثل هذه المواقع تستغرق زمناً طويلاً.

الدوارة والسكراب

أما مشكلة انتشار التلوث من مواقع منطقة التويثة هو نقل البراميل والسكراب من منطقة إلى أخرى وهذا ما زاد في دق ناقوس الخطر بين المتعاملين، فالسكان يشكلون طبقة فقيرة ويعتاشون على ما يجنوه من بيع طحين الحصة الأسمر أو جمع السكراب ، فحكاية أم زمن التي أصيبت بشلل في أصابع قدمها وطفح جلدي في يدها وتساقط شعرها نتيجة استخدامها أحواضا بلاستك، تقول أم زمن: إنها وبعد مرور سنوات من إصابتها بسرطان الجلد أصبحت امرأة يائسة فزوجها تركها وهجر المنزل بعد أن رآها تفقد أجزاء من جسدها نتيجة تآكله بفعل اختراق الإشعاع لجسدها، وهو أصيب بالجنون لكثرة خوفه من يكون مصيره نفس الشيء وفعلا حسب قول ام زمن وجدت جثته في احد المستشفيات وكان مشوه الجسد ومصاب بالشلل .

إجراءات حكومية صامتة

تشير نتائج الدراسات الإحصائية والمسحية المتوفرة التي تجرى بإمكانات محدودة خارج نطاق إمكانات السلطة وبمساعدة مراكز خيرية خارج العراق إلى زيادة في أعداد المصابين تفوق المتوقع بأضعاف عما كانت عليه قبل حربي الخليج الأولى والثانية كذلك مقارنة بواقعها في الدول المجاورة.

العلاقة بين زيادة هذه الإصابات وبين مستويات التلوث الإشعاعي والسمي البيئي في هذه الدراسات تعطي دلائل وثيقة الصلة باستخدام اليورانيوم المنضب في الأسلحة التي استخدمت في هذه المناطق مع أن الحاجة لإجراء الدراسات الواسعة والموثقة والمسوح البيئية ومعدلات الإشعاع والتلوث السمي التي لا تسمح الظروف القائمة بإجرائها، تبقى مطلوبة ومهمة كأهمية تصريح قيادات الجيوش المشاركة في الحروب عن كمية ونوعية ومناطق وتواريخ استخدامها لهذه الأسلحة التي ما زالت تحتفظ هذه القيادات عن التصريح بها.

وفي السياق نفسه كشف مصدر مطلع في وزارة الصحة العراقية عن معلومات تفيد بوجود (١٧٠) ألف حالة إصابة بالسرطان بين العراقيين، وأشار المصدر إلى أن هناك إحصائية تؤكد أن عدد العراقيين الذكور المصابين بالسرطان بلغ (١١١) ألفا، فيما بلغ عدد النساء المصابات (٥٨)ألفا، واصفا هذه الأرقام بأنها مخيفة ومقلقة، ودعا المصدر الحكومة والأجهزة الصحية إلى إعلان أسباب ارتفاع معدلات الإصابة بالسرطان.

وزارة العلوم والتكنولوجيا

وكانت دراسة علمية أعدتها وزارة العلوم والتكنولوجيا كشفت أن ٨٤ ألف طن من القنابل ألقيت على مساحة أربعة آلاف ميل مربع من جنوبي العراق.

وأضافت أن سبعة مليارات غالون من الوقود العسكري استخدم في حرب عام ١٩٩١، وستمائة مليون غالون للطائرات وحدها في تلك الحرب، ناهيك عن حرب عام ٢٠٠٣ . وأدى احتراق هذه الكميات من الوقود – حسب الدراسة – في حرب عام ١٩٩١ إلى إنتاج ٦٥ مليون طن من ثاني أكسيد الكاربون، وستة آلاف و٣٧٠ طنا من جسيمات المواد المعدنية و٣٨ ألفا و٥٩٧ طنا من أكسيد الكاربون و٩٨ ألفا و٣٦ طنا من أكسيد النتروجين و٢٥٤ طنا من ثاني أكسيد الكبريت .وفي ظل موقف الحكومة بخلو البلاد من التلوث تزداد الإصابات بأنواع السرطان التي تسجلها المستشفيات خاصة في جنوبي العراق، والتي تعتبرها بعض الجهات الرسمية طبيعية، وتقول جهات أخرى إنها خارج المألوف ودليل على جود تلوث بالمواد السامة.

أسلحة كيمياوئية وبيولوجية

ووفق الدراسة تزايد عدد المصابين بسرطان الدم في العراق إلى ثلاث مرات خلال ١٥ عاماً، وان الأسلحة الأمريكية المستخدمة في الحرب الأخيرة بالعراق كانت تتضمن مواد اليورانيوم والبلوتونيوم والجمرة الخبيثة والمواد القاتلة التي تدخل في إطار الأسلحة الكيماوية والبيولوجية بفعاليتها الكبيرة في التدمير والقتل.

بالمقابل أشارت بعض المصادر في وزارة البيئة الى ان إصابة الأطفال بلوكيميا الدم في جنوب العراق تضاعفت ثلاث مرات خلال الخمسة عشر عاما الماضية، الأمر الذي أدى ويؤدي إلى كارثة صحية لسكان العراق للسنوات القادمة بسبب نقص الأدوية الحديثة وقلة الأطباء الأخصائيين في العراق، فحتى نهاية ٢٠٠٧، كان عدد أكثر من ١٥٠٠. المصابون من الأطفال بلوكيميا الدم عند سكان العراق نتيجة الأضرار الناجمة عن التسمم الكيميائي بالمعادن الثقيلة ، والكادميوم ، واليورانيوم يؤدي إلى الضرر الحاد في الصحة ويصل إلى الكبد والكلى عبر مجرى الدم. والتسمم المزمن باليورانيوم يسبب نقص المناعة المكتسبة والسرطان وخاصة سرطان الدم . كما يتسبب اليورانيوم المنضب بالضرر الوراثي. وهذا يؤدي إلى تراكم حالات الإجهاض، وموت الجنين داخل الرحم، وتشويه الجهاز الهضمي وبقية أعضاء جسم الجنين، وغالبا يكون الجنين غير قادر على البقاء على قيد الحياة.

أكبر تلوث في التويثة

إن الذي جرى في مركز التويثة بعد آذار ٢٠٠٣، أثار مخاوف الكثير من الجهات المهتمة بالبيئة بالإضافة إلى الأمم المتحدة ومنظمة السلام الأخضر العالمية. يمتد المركز على مساحة تقدر بـ ٥٠ كم٢ ويحتوي على أكثر من ١٠٠ بناية. يشمل النشاط في هذا المجمع عددا من المفاعلات النووية، عمليات فصل البلوتونيوم بالإضافة لعمليات تخصيب اليورانيوم وغيرها من الأنشطة النووية. وقد قدر خبراء وكالة الطاقة الذرية العالمية، الذين زاروا المركز في ٧ حزيران ٢٠٠٣، كمية المواد النووية التي يحتويها المركز بـ ١,٨ طن من اليورانيوم قليل الخصوبة و٥٠٠ طن من اليورانيوم الخام. يقول تقرير برنامج الأمم المتحدة للبيئة بأنه بعد أن أصبح العراق تحت سيطرة قوات التحالف، فشلت هذه القوات بتأمين الحماية الضرورية لموقع التويثة، مع وجود إمكانية كبيرة لحدوث تلوث إشعاعي يشمل المناطق المحيطة.

ففي نيسان ٢٠٠٣، وبعد عمليات التخريب التي حصلت للمركز، تمت إحاطة وكالة الطاقة الذرية العالمية بحدوث هذه العمليات التي شملت حاويات اليورانيوم، وتم تسجيل مستوى إشعاع عال في مناطق مجاورة للمركز. كما وجد أن الكثير من الحاويات إما مفقودة أو تم تفريغ محتوياتها. كما وجدت مساحات واسعة من الموقع وقد غطيت بمركبات اليورانيوم. لقد تبين بعد ذلك بأن الذين سرقوا البراميل استخدموها للأغراض المنزلية (خزن الماء والغذاء) وذلك بعد تفريغها من اليورانيوم ودفنه في أماكن مختلفة. وفي الحملة التي قامت بها منظمة السلام الأخضر، لاسترجاع هذه البراميل من الأهالي، والمقدر عددها ٣٠٠٠، قامت هذه المنظمة بتعويض الأهالي ببراميل نظيفة مقابل تسليمهم البراميل الملوثة. في اليوم الأول لهذه الحملة تم تسلم ١٧ برميلاً، وجد بأنها كانت حاوية على ما يعرف بالكيك الأصفر (يورانيوم قليل الخصوبة).

ويشير تقرير برنامج الأمم المتحدة للبيئة، إلى الدراسة الميدانية التي قامت بها منظمة السلام الأخضر من حزيران إلى تموز من عام ٢٠٠٣. وقد شملت هذه الدراسة السكان حول مجمع التويثة. حيث تم تسجيل مستوى إشعاعي أكثر بمائة مرة من المستوى الطبيعي المقبول. وفي إحدى المدارس الابتدائية سجل مستوى للإشعاع أكثر بثلاث آلاف مرة المستوى الطبيعي للإشعاع المقبول. ويؤكد تقرير الأمم المتحدة على الأهمية القصوى التي يجب أن تولى إلى مجمع التويثة لما يشكله من مخاطر كبيرة على المناطق المحيطة به على صعيد الصحة العامة والأمن. وقد تمت الإشارة من قبل التقرير إلى الجهد المشترك الذي من المفترض انه قد تم من قبل وزارتي الصحة والبيئة ، لبحث ما تم تسجيله من وجود تأثير آني على الصحة العامة. حيث من المفترض انه قد شمل ٥٠٠ من سكان المنطقة المحيطة بمجمع التويثة.

300 طن يورانيوم

يذكر تقرير المنظمة في ٢٠٠٣ بان كمية اليورانيوم "المنضب" التي ألقيت خلال حرب ١٩٩١ تم تقديرها بنحو ٣٠٠ طن استقرت في البيئة العراقية على شكل غبار ودقائق صغيرة. أما بالنسبة لحرب ٢٠٠٣، يقول التقرير بان السلطات الأمريكية والبريطانية أقرت باستخدام ذخائر اليورانيوم "المنضب". فقد أطلقت دبابات تشالنجر البريطانية ما مقداره ١,٩ طن من قذائف اليورانيوم في معارك الدبابات غرب وجنوب غرب البصرة. وتعادل هذه الكمية ضعف ما استخدمته القوات البريطانية من هذه القذائف في حرب ١٩٩١.

عدم توفر الحماية

لقد أصبح معروفا بأنه بسبب عدم توفر الحماية اللازمة تعرض المجمع لعمليات تخريب وسرقة التي جلبت المخاطر الهائلة لمرتكبيها. حيث تمت سرقة الكثير من البراميل والحاويات من اجل استخدامها للأغراض المنزلية من خزن الماء والغذاء وغيرها. ورغم مناشدة الوكالة الدولية للطاقة الذرية للقوات الأمريكية، بقي المركز مفتوحا واستمرت عمليات النهب لمحتوياته قائمة، والتي أدت الى توزيع المواد النووية المشعة على مساحات واسع حول المركز. إن العثور على مواد نووية مسروقة من العراق في كل من هولندا وتركيا يدل على حجم العبث الذي حصل في المركز الذي من المفترض انه كان تحت حماية قوت الاحتلال حسب ما تنص عليه اتفاقية جنيف.

مفاعل التويثة النووي بعد السلب والنهب

تقرير للأمم المتحدة: كلفة الإجراءات اللازمة لمعالجة التلوث وتقليل المخاطر الناجمة عن وجود النفايات ٧٢ مليون دولار

البيئة: تسجيل مستوى إشعاعي أكثر بمئة مرة من المستوى الطبيعي المقبول في إحدى المدارس الابتدائية

حكومة صامتة: دلائل ووثائق تؤكد استخدام اليورانيوم المنضب في الأسلحة المستخدمة ضد العراق!

التنقيب عن بقايا المفاعل

سرقوا ما لا يعلمون